التحليل السوسيولوجي لتطور الأسرة الجزائرية منذ الاستقلال إلى يومنا هذا

الأستاذ.مجبري حسان.جامعة الجزائر 2.

الأستاذ.العقاب خليل.جامعة البليدة 2.

ملخص:

تعد الأسرة للمجتمع أهمية بالغة وقصوى وذلك لأنها، أول نظام اجتماعي عرفه الإنسان له خصائصه ووظائفه التي تؤثر فيه ويؤثر هو بدوره فيها وفي نظمها، وهي في تفاعل مستمر مع النظم الاجتماعية المختلفة .

وتقوم الأسرة بتطبيع الفرد في اتجاهاته وميوله، وتميز شخصيته، وتحدد تصرفاته العامة، وهي أول من تعرفه بدينه وعادات مجتمعه ولغة وطنه ومكتسباته وثقافته وخيراته وحضارته، وكيفية المحافظة عليها والاستفادة منها.. كما تكون أفكاره الأولى وتعلمه كيفية التفاعل الاجتماعي وتدربهم على الحياة الاجتماعية .

فمن خلال الدور الذي تلعبه الأسرة وأهميتها حاولنا في هذا المقال التطرق لتطور الأسرة الجزائرية بتحليل سوسيولوجي لها والتي تعد العائلة ضمن النموذج العائلي العربي من خلال المفهوم وأنماط الأسرة وكذا بنيتها وذلك بعد الاستقلال.

Abstract :

The society 's brick and basic is the family, because it is the first social system known by the human .it has it's own characteristics and functions which influenced on the individual who is also is in turn affects .it is in constant interaction with different social systems .

the family is the first institution which initiate the person with his religion, beliefs, social traditions, language ,culture ,heritage ,and his civilization, even how to protect and use them. it learn the individual all the social's affects around him.

Through the importance of family's role ;we have touched on the development of Algerian family specially after the independence as a model and one of Arab families with adopting the sociological analysis.

تمهيـد:

كانت الأسرة ولا تزال محل اهتمام الكثير من المتخصصين في مختلف التخصصات خاصة العلوم الاجتماعية والإنسانية نظرا لأهميتها واعتبارها الخلية الأولى والرئيسية التي يتكون منها المجتمع، وكذلك باعتبارها من مؤسسات التنشئة الاجتماعية والمجال الحيوي الأمثل لها .

وتعد الأسرة إحدى الوحدات الأساسية للتحليل السوسيولوجي الذي يمكن دراستها استنادا إلى الأفعال والسلوكيات الاجتماعية الصادرة عن أعضائها، فهذه السلوكيات من شأنها أن تؤدي إلى ظهور التفاعل أو الانشقاق بين أفراد الأسرة الواحدة وبالتالي تحديد العلاقات التي تربطهم ببعضهم البعض ، ومن خلال معايير السلوك والقيم المتعارف عليها في جماعة الأسرة على أساسها يتضح كيفية بناء المجتمع. لذلك حاولنا أن نتطرق إلى تطور الأسرة الجزائرية وفق تحليل سوسيولوجي، لكن قبل ذلك لابد أن نفهم أولا وقبل كل شئ ما هي الأسرة بالمفهوم السوسيولوجي.

- يعرفها **عبد الحليم بركات بأنها** : وحدة اجتماعية إنتاجية تشكل مركز النشاطات الاقتصادية والاجتماعية، تقول على الالتزام المتبادل والمودة، أنها أبوية من حيث تمركز السلطة والمسؤوليات، ومن حيث الانتساب وهرمية على أساس الجنس والعمر، ثم أن هناك خصائص أخرى تتعلق بالزواج والإرث والطلاق وبنوعية علاقاتها بالمجتمع ومؤسساته[1].

[1] عبد الحليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، مركز الدراسات الوحدة العربية، لبنان، 1986، ص 175.

– يعرفها **احمد زكي بدوي** على أنها: الوحدة الاجتماعية الأولى التي تهدف إلى المحافظة على النوع الإنساني، وتقوم على مقتضيات التي يرتضيها العقل الجماعي والقواعد التي تقررها المجتمعات المختلفة، ويعتبر نظام الأسرة نواة المجتمع[1].

– أما **دينكن ميشيل** فقد عرفها في معجمه بأنها: كل مجتمع قائم بالفعل يشمل على بناءات أسرية على أية صورة من الصور. فهي ضرورة حتمية لبقاء الجنس البشري، كما أنها الجماعة الأولوية التي ينتمي إليها الطفل دون اختيار، والجسر الذي يوصله إلى المجتمع[2].

ويعرفها أيضا **أيميل دوركايم** الأسرة بأنها: هيئة اجتماعية ذات طابع قانوني وأخلاقي، ويلتزم أفرادها من زوج وزوجة وأبناء بجملة من الواجبات، والتي من بينها تحمل الآباء بشؤون أبنائهم والتكفل بهم.

- **أنماط الأسرة :**

لقد أثبتت الأسرة صفتها الكونية بتواجدها في كل المجتمعات الإنسانية قديمها وحديثها، فهي بنية اجتماعية لا يستغني عنها أي مجتمع بشري على الإطلاق، ومن خلالها تبرز كل النظم الاجتماعية الأخرى، ومع هذا لا يمكن الجزم بأن النظام الأسري هو نفسه متطابق في كل المجتمعات الإنسانية، بل يأخذ أنواعا مختلفة حتى في إطار المجتمع الواحد، كل نوع له ميزاته الخاصة وأهم هذه الأنواع:

– **الأسرة النووية:** وتعتبر النواة الأولى للمجتمع الإنساني ويطلق عليها أيضا اسم الأسرة الزواجية، زوج وزوجة أو الأسرة ثنائية الوالدين الأب والأم، ويتفق علماء الاجتماع على أن الأسرة النووية هي الأسرة التي تتكون من الزوج والزوجة وأبنائهما غير المتزوجين وهذا النوع من الأسر بداية ظهوره كان في المجتمعات الحديثة التي تعبر عن الفردية التي تنعكس في حقوق الملكية والأفكار والقوانين الاجتماعية وتراجع العلاقات القائمة على القرابة والدم [3]، والأسرة النووية تكون مستقلة في ميزانيتها بصرف النظر عن مدى استقلاليتها في

مسكنها، فقد أدت ظروف السكن إلى اشتراك عدة أسر منفصلة اقتصادياً ضمن عناصر المسكن الواحد مهما كانت طبيعة المسكن وحجمه[4].

– **الأسرة الممتدة:** وتتعلق عموما بالأسرة التي تتألف من الزوج والزوجة وأولادهما غير المتزوجين، وابن متزوج على الأقل مع أولاده، إذن فالرابطة أو العلاقة التي يقوم عليها هذا النوع من الأسر هي الرابطة القائمة على أساس الدم [5]، فالأسرة القرابية والتي تنظم في ضوء علاقات الدم عادة ما تؤلف أسرا ممتدة، وطبقا لهذا التعريف فإن الأسر النواة التي تنتمي إلى جيل واحد لا تعتبر أسرا ممتدة وإن ارتبطت عن طريق الزواج التعددي.

---

[1] احمد زكي بدوي، معجم المصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1983، ص 152

[2] دينكن ميشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد الحسن، الطبعة الثانية، دار الطليعة ، بيروت، 1981، ص 97.

[3] فهمي سليم الغزوي وآخرون، المدخل إلى علم الاجتماع، دار الشروق، مصر، 1992، ص 214.

[4] محمد بومخلوف. " نمط الأسرة الجزائرية ومحدداته " . سلسلة الوصل ، التغيرات الاسرية والتغيرات الاجتماعية، العدد "2" الجزء"1"، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر 2005-2006.، ص ،75.

[5] La Course Marie Thérèse, Familles Et Sicieté Edition Imc; Canada; 1984, P 23.

وحسب " مكيفر " توجد الأسرة الممتدة في المجتمعات الزراعية الريفية وفي المجتمعات المحلية العشائرية والقبلية، ويخيم الجو الديكتاتوري على الأسرة الممتدة إذ أن الأب يحتل منزلة اجتماعية أعلى بكثير عن منزلة الأم وينفرد في اتخاذ الإجراءات والقرارات التي تتعلق بمستقبل الأسرة [1].

الأسرة المركبة: يظهر هذا النوع من الأسر في المجتمعات التي تسمح بتعدد الزوجات كالمجتمع الإسلامي أو المجتمعات التي تسمح بتعدد الأزواج، فهذا النموذج الأسري يتميز باتحاد أسرتان نوويتان أو أكثر عن طريق الزوج المشترك أو الزوجة المشتركة[2].

الأسرة المتسعة: هي أسرة زواجية يعيش فيها قريب غير متزوج لأحد الزوجين مثل الأخ أو الأخت أو ابن العم أو الخال[3].

- **التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة:**

التنشئة الاجتماعية هي السيرورة التي عن طريقها يأخذ الفرد العناصر الأساسية لتكيفه الاجتماعي، فيتعلم طريقة الأكل والكلام والسير والرموز والقواعد الثقافية، اللغة، قواعد التعامل مع الآخرين، العادات والتقاليد، المعتقدات والمعايير الرسمية والغير رسمية التي تميز السلوكات الاجتماعية، فهذا الرصد بالنسبة للفرد مهم جدا لتكيفه داخل المجتمع وليضمن بقاءه على جميع مستوياتها.

تعتبر الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولى التي تتشكل داخلها شخصية الطفل تشكلا فرديا أو جماعيا، كما أنها المكان الأنسب الذي تطرح فيه أفكار الأباء والكبار ليطبقها الصغار على مر أيام تنشئهم في الحياة، والأسرة هي أول جماعة يعيش فيها الطفل ويشعر بالانتماء إليها ويتعلم كيف يتعامل مع الأخرين في سعيه لإشباع حاجاته، كما تعتبر الوحدة الاجتماعية البنائية الأساسية في المجتمع وتنشأ منها مختلف الجماعات الاجتماعية وهي المسؤولة الرئيسية لتطوير المجتمع وتوطيده وتنظيم سلوك الأفراد بما يتلازم والأدوار الاجتماعية المحددة وفقا للنمط الحضاري العام، وتكمن أهمية الأسرة في هذا المجال (التنشئة الاجتماعية) في كونها ترتكز على علاقات حميمية بين أفرادها للوصول إلى أهدافها، وهذا ما ليس متوفر في مؤسسات أخرى للتنشئة الاجتماعية كالمدرسة وميدان العمل، والجمعيات... الخ، ومن الأوائل الذين أدركوا أهمية الحاجة إلى التنشئة الأسرية الانجليزي " هربرت سبينسر " الذي يرى أن الغرض من التنشئة هو إعداد الفرد للحياة الكاملة في مختلفة نواحيها، هذه النواحي هي خمسة: الصحية، المهنية، الأسرية، الوطنية والثقافية. ويقول كل من برج" و "لوك" في كتابهما "الأسرة": " لقد نال النوع البشري حضارته بفضل الأسرة وأن مستقبله يتوقف بصورة مباشرة على هذه المؤسسة أكثر من أي مؤسسة أخرى [4].

إن التنشئة الأسرية عملية هامة وضرورية ولابد منها خاصة في العصر الحالي وذلك لتطور المجتمعات وتطور دور الأسرة في الحياة العامة، وتوجهها إلى الحياة الديمقراطية والشورى بين أفرادها، فهذا يزيد مسؤولية الأسرة في عملية

---

[1] إحسان محمد الحسن، العائلة القراية والزواج، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، ط2، 1985، ص 42.

[2] عاطف غيت، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص 179.

[3] عبد الحميد سيد أحمد منصور. أسرة كأداة للضبط الاجتماعي، فى المجتمع العربى- المركز العربى للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1987، ص31،38.

[4] إبراهيم ناصر معلم الاجتماع التربوي، دار الجيل، لبنان، دون سنة نشر، ص 62.

التنشئة. إن عملية التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة هي عملية تفاعل تتم داخل إطار من العلاقات الاجتماعية القائمة بين أفراد الجماعة الأسرية، بحيث يكون له أكبر الأثر في تحديد طبيعة التفاعل ومداه ونتائجه مما يؤثر بدوره في تنشئة الفرد وتشكيل شخصيته، يتشكل إطار العلاقات الاجتماعية على أساس التركيب والتنظيم الاجتماعي للأسرة وأعمار أفرادها ومراكزهم وأدوارهم، فالطفل كعضو في الجماعة الأسرية يحاول تدعيم وضعيته وتأكيد فعاليتها من خلال قدرته على التلاؤم والتكيف، وبذلك فعضويته في الجماعة الأسرية تصبغ عليه صفة المجتمعية وتحد من أنانيته من خلال الضغط عليه ليتنازل عن بعض مطالبه. فالعلاقة بينه وبين أمه قد تكون علاقة أساسها المحبة والتفاهم فيتأثر الطفل تأثرا إيجابيا، وقد تكون علاقة أساسها النفور وسوء التفاهم، فيؤثر ذلك سلبا عليه وينعكس ذلك في انحرافه وعدم اندماجه واستقامته وفق المعايير والقيم المسطرة ، كذلك علاقته مع والده وإخوته تؤثر عليه تأثيرا مباشر فقد تكون علاقة غيرة وخصام أو تعاون ومحبة، كذلك علاقة الأب مع الأم تنعكس بطريقة غير مباشرة على تنشئة الطفل، كما قد يدخل في هذه العلاقات أطراف أخرى إذا كانت الأسرة ممتدة كالعم والجد والجدة... الخ، إذن تختلف تنشئة الطفل حسب أنماط العلاقات الاجتماعية السائدة بسبب السن والجنس والمركز والدور الاجتماعي لأفراد الأسرة وحسب نوعية الاتصال فيما بينهم[1].

- **مشاكل الأسرة**

المشكلة هي الخلل في البناء أو انحراف داخل إطار المجتمع، وهي معوق وشيء ضار بنائيا ووظيفيا وتعوق تحقيق إشباع الحاجيات الإنسانية الأساسية، والمشكلة الاجتماعية هي حدوث خلل أو انحراف في العلاقات الإنسانية، وهي كذلك سلوك انحراف وتفكك اجتماعي أو الاثنين مما يؤثر على المصالح الرئيسية لكثير من أفراده ومؤسساته والأسرة كنسق جزئي من النسق الاجتماعي العام هي الأخرى تعرف عدة مشاكل وتعرف المشكلة الأسرية أنها مشكل مرضي يصيب الأداء الاجتماعي ينتج عنه أثر سيء على الفرد كعضو في الأسرة أو على الأسرة ككل، ويمكن تقسيم أسباب المشكلة الأسرية إلى أسباب داخلية وأخرى خارجية: الداخلية أهمها: – عدم تماثل القيم والعادات والتقاليد الاجتماعية بين الزوجين.

– تأثير الجوانب الوراثية والجسمية والنفسية.

– العقم (عدم الإنجاب) أو كثرة الأولاد.

– تناقص وتعارض الوالدين حول أساليب التنشئة الاجتماعية المستعملة في تربية الأولاد وطرق اتخاذ القرارات. أما العوامل الخارجية هي التي تأتي من خارج النسق الأسري كتأثير الحياة المدنية في المجتمعات الحضرية وأصدقاء العمل ووسائل الإعلام[2] . ويمكن تقسم المشاكل الأسرية إلى:

المشاكل الاقتصادية:

تؤكد العلاقات المتبادلة بين الأسرة والبناء الاجتماعي أن الاتزان الأسري سوف يناله الاضطراب عندما تختل طبيعة المجتمع، فالعقبات الاقتصادية تؤدي غالبا إلى عدم استقرار الأسرة وعدم تماسكها، فتدهور الدخل خلال فترات

[1] منير مرسي السرحاني في اجتماعيات التربية، دار النهضة العربية، ط3، ليتان، 1981، ص 182.

[2] حسين عبد الحميد رشوان، الاسرة والمجتمع، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2003،ص ص 87-89 .

الكساد أو في حالة البطالة له أثر كبير على نجاح الأب في القيام بدوره كعائل للأسرة فالفشل الذي يتعرض له يؤدي إلى أن يفقد الاحترام من طرف أفراد الأسرة وبالتالي تقل سلطته[1]. ولمواجهة هذا المشكل تتخذ الأسرة إستراتيجية بأسلوبين أحدهما أو كلاهما: الأول يتمثل في بذل مجهود إضافي لزيادة دخل الأسرة يتضمن ذلك قبول أعمال إضافية أو تحمل مسؤوليات أخرى في العمل أو العمل لساعات إضافية أو إشراك أفراد آخرين من الأسرة (عادة ما يكون السبب الاقتصادي هو السبب الأول في عمل المرأة وعمل الأطفال)، أما الأسلوب الثاني فيبدو في ضغط نفقات الأسرة واستبعاد العناصر الكمالية والغير أساسية.

وفي كلتا الحالتين فإن نتائج ذلك تكون خطيرة، فعمل الأب ساعات إضافية يؤدي إلى تعبه و إرهاقه، أما خروج الأم أو الطفل للعمل فإن ذلك يؤدي إلى تدهور الأدوار داخل الأسرة خاصة دور الطفل، فقدت أكدت الدراسات إلى أن الكثير من مشكلات نمو الأطفال ترجع إلى عدم توفر الحاجات الضرورية، فالطفل
الذي يعيش في أسرة ذات دخل منخفض ينظر إلى نفسه بالمقارنة مع غيره من الأطفال، فعن طريق هذه المقارنة تتكون مفاهيم الطفل عن ذاته واتجاهاته نحو الآخرين وهو ما يؤدي إلى استيائهم من أبائهم وأمهاتهم[2].

المشاكل الاجتماعية:

يضمن الزواج وكذلك الحياة العائلية على غرار الأنساق الاجتماعية الأخرى القيام بأدوار اجتماعية ويعتبر الشعور بالإحباط والصراع الذي يدور حول القيام بالأدوار المختلفة في حياة الأسرة من العوامل الأساسية في تصدع هذه العلاقات، فقد نشأ الصراع نتيجة اختلاف النظرة إلى الأدوار الأسرية بين الزوجين حول الواجبات والالتزامات التي يتحملها الطرفان، كما قد ينشأ الصراع نتيجة انتماء الطرفين إلى أصول ثقافية متباينة وقيم ومعايير اجتماعية مختلفة، أيضا قد تتعارض الحياة الأسرية مع الأدوار الخارجية لأفرادها، والصراع أيضا قد ينشأ بين الوالدين والأبناء نتيجة غياب سلطتهما وتخلخل عملية الضبط الاجتماعي، أو إلى الفارق الحاصل بين القيم والمعايير التي يتعامل بها كل طرفة (صراع الأجيال)، فكل جيل يعمل ويقوم بدور حسب القيم التي يراها مناسبة لذلك.

- **التفكك الأسري**: يشير إلى انهيار وانحلال البناء والأدوار الاجتماعية المرتبطة عندما يتصل عضو أو أكثر من القيام بالتزامات دوره بصورة مرضية، ويبدو الطلاق السمة الشائعة لما يسمى بعملية التفكك الأسري غير أن هناك وضعيات وحالات أخرى كالهجر وهو انفصال الزوجين دون طلاقهما، وقد يكون ذلك دائما و مستمرا أو مؤقتا وينتشر الهجر الذي قد يعترف به قانونيا باسم الانفصال خاصة في المجتمعات التي لا تبيح الطلاق وفي المجتمعات التي تضعف فيها عملية الضبط الاجتماعي بحيث يستطيع الشخص أن يتهرب من مسؤولياته دون أن يشعر أنه اعتدى على قيم وتقاليد الجماعة وعلى حقوق الأبناء في تربيتهم وتنشئتهم والعناية بهم[3].

[1] محمود حسن، الاسرة ومشكلاتها، دار النهضة العربية، بيروت، 1967، ص 69.

[2] محمود حسن ، نفس المرجع، ص ص 322.323.

[3] حسين عبد الحميد رشوان، مرجع سابق، ص 99.

- **خصائص العائلة الجزائرية :**

تعد العائلة الجزائرية ضمن النموذج العائلي العربي الإسلامي ، و هي بذلك ممتدة و موسعة ، يعيش فيها عدّة أجيال يحكمها النظام الأبوي ، الأب فيها و الجد هو القائد الروحي للجماعة العائليّة، تنظم من خلاله تسيير التراث الجماعي للحفاظ على تماسك الجماعة المنزلية، يتولى فيها العنصر الذكري المرتبة الأولى ، و تحتل فيها المرأة مرتبة ثانوية و هامشيّة اجتماعياً [1]. جميع أفراد الأسرة الذين يتوجّب عليهم الخضوع له.

– العائلة الجزائرية هي أسرة ممتدّة موسعة : فمن الناحية البنائية تتركب من خليتين أساسيتين أو أكثر ، و تضم أكثر من جيلين اثنين ، فتشمل الأجداد و الآباء و الأحفاد ، يقيم هؤلاء جميعا في وحدة سكنيّة مشتركة ، و يمكن أن يكون هذا الامتداد عموديّا فيضمّ مثلا أسرة الأب التي تمثل النواة و أسر أبنائه المتزوجين التي تحيط بها.

– العائلة وحدة اجتماعية إنتاجية غير منقسمة شكلت العائلة في المجتمع التقليدي وحدة إنتاجية غير منقسمة. فتماسك الأفراد داخل هذه البنيّة الاجتماعية نابع أساسا من رابطة الدّم يضمن وحدة العائلة و تلاحمها و وحدة الملكية سواء إن كانت أرضا، قطيعا أو وسائل عمل جماعي ...الخ . فالملكية العائلية هي ملكية خاصة، ولكن لا يجوز بيعها أو تقسيمها، فإذا حصل التقسيم وتمّ البيع غالبا ما يكون بين الأقارب أنفسهم " فأولويّة القرار العائلى على القرار الفردي في أساس ترابطها[2] .

– العائلة أسرة أبوية: النظام السائد فيها هو نظام بطريكي ، الجد، الأب وأحيانا الأخ الأكبر ، هو قائد الجماعة ومركز قوتها ، سلطته ذات طبيعة مطلقة و نهائيّة ، ... وانطلاقا من هذه الميزة التي يخولها له العرف و العادة يعمل على الحفاظ على تماسك الجماعة العائليّة و ينوب عن أفرادها و يمثلهم في جميع المعاملات و العلاقات خارج الأسرة . هي كذلك أبويّة من حيث النسب، و أبويّة من حيث السكنى ، أي أن إقامة الزوجين تخضع لقاعدة السكن مع والد الزوج .

– العائلة أسرة هرمية على أساس السن و الجنس : "العلاقات الأسريّة بها هي علاقات هرميّة ، لا يزال التمييز فيها قائما على الجنس و العمر ، علاقات قائمة على أساس الخضوع و الانصياع الكبير للقوي ، للمسيطر للمالك". يحتل بها الأب رأس الهرم ، يكون بها تقسيم العمل و النفوذ و المكانة على أساس الجنس و العمر[3]، فتتمركز السلطة في يد كبار السن و على رأسهم كبار العائلة" يمارسون تسلطهم على الصغار (الشباب و الأطفال) ، و يتوقعون منهم الطاعة و الامتثال للأوامر و اجتناب النواهي .

كما أن السلطة الأسرية في هذا الإطار تتمركز خاصة في يد الذكور ، و هذا كله يترتب عنه شكلا هرميّا سلميّا لتوزيع السلطة ، و علاقات اجتماعيّة تراتبيّة ، و تقسيما للفضاء الاجتماعي ، فضاء عام مخصص للرجال داخل البيت ، يحرم على الرجال المكوث فيه طويلا في النهار [4]، وفضاء خاص بالنساء.

---

[1] بوتنفوشت مصطفى، العائلة الجزائرية ، التطور والخصائص، ترجمة احمد دمري، د،م،ج، الجزائر، 1984، ص 37.

[2] طابيي محمد ، الجزائر عشية احتلالها، وهران، وحدة البحث في الانثربولوجية الاجتماعية والثقافية، 1992، ص 17.

[3] يركات عبد الحليم، المجتمع العربى المعاصر ، بحث استطلاعي اجتماعي ، دراسات الوحدة العربيّة ، بيروت ، 1984 ، ص 179.

[4] سعيدي محمد، رمزية الفضاء بين المقدس الدنيوي فى الثقافة الشفوية، "مجلة إنسانيات" عدد 2 ، 1997، ص918

هذا و قد تعرضت الأسرة الجزائرية إلى تحوّل في بنيتها الشكلية و العلائقيّة. نتيجة جملة متعدّدة من التغيرات الاجتماعيّة السياسيّة والاقتصادية ، التي طرأت على المجتمع الجزائري ، فمن مرحلة الاحتلال لمرحلة الاستقلال إلى مرحلة التفتح على الثقافات الأخرى و ما أفرزه نظام العولمة ، و التبادل التجاري والاقتصادي ، كان له أبلغ الأثر على البنيّة الشكلية للأسرة و العلاقات بين أفرادها ، هذا ما أنتج بدوره نموذج الأسرة المصغرة أو النووية .

و الأسرة النووية : " هي نتاج التحول الاجتماعي و الاقتصادي و الثقافي ، يسود هذا النمط من الأسر في المدن بشكل خاص وهو يحوى بدوره كل من الزوج و الزوجة و الأطفال ، يتميز بسكن مستقل و سلطة مختلفة نوعا ما عن نمط السلطة في العائلة الممتدّة ، فالعلاقات الأسريّة بها قائمة على مبدأ المساواة نتيجة تغيّر الأدوار الاجتماعية وخاصة تغيّر مركز المرأة نتيجة تعلمها و اندماجها في سوق العمل ، مما أدّى إلى تراجع مكانة رب الأسرة في إدارة شؤون العائلة[1].

و رغم كل هذه التحولات الطارئة على البنيّة الشكلية للأسرة الجزائرية إلا أن النظام الأبوي لا زال يحكم كلا النمطين التقليدي و الحديث والذي يظهر بمفهوم ذو ازدواجية نظرية مهمة لأنه يعبّر عن تشكيلة اجتماعيّة هجينة ناتجة عن الانتقال من نظام تقليدي إلى نظام حديث دون استكمال عملية التحول أو الانتقال بصفة نهائيّة. مجسدا بذلك قيّم الخضوع الهيمنة و التبعية ، يسيّر جل العلاقات الأسرية التي نشأت تاريخيّا و في ظل النسب و السيادة الأبويّة ، المحكومة بسلطة الأب على الأبناء و الزوج على الزوجة و الأخ على الأخت ، " فالمرأة التي استطاعت أن تقنع أباها بالتحالف مع أمها بوضعها الجديد و بمركزها في المجتمع ، سوف تجد داخل الأسرة أخيها الذي لم ينجح في المدرسة أو لم يجد عملا يجتهد في الحصول عليه ، خصمها الأول الجديد ، و لأن الأب يجد في نجاح البنت تعويضا عن خسارة الابن و عزاءا ، فيقابل ذلك بالاعتراف و الامتنان و الليونة في العلاقة ، أما الابن سوف يرى في هذا الوضع إنكار لرجولته و تهديدا لمكانته ، و سوف يستخدم كل الوسائل لاسترجاع مكانته المهضومة [2] .

فالنظام الأبوي لا يزال قائما، باعتباره خلفية ومرجعيّة ثقافية مقبولة ومحافظ عليها في الذاكرة الجماعيّة للمجتمع .

- **تطور بنية الأسرة الجزائرية اجتماعياً واقتصادياَ بعد الاستقلال**

كانت بنية العائلة الجزائرية تقليدية خاصة في مرحلة ما قبل الاستعمار الفرنسي، وتتشكل هذه العائلة من مجموع أسر تشكل في النهاية النواة الأولى للعشيرة " فالهوية الاجتماعية للمجتمعات المغاربية ما قبل الاستعمار على العموم لها مستويات:الأول هو العشيرة التي تحافظ على الروابط الاجتماعية للجماعة الكلية، والثاني هو الأسرة التي تشكل العشيرة[3].

---

[1] ضامر وليد عبد الرحمن ، فكرة تنمية المرأة في المجتمعات العربيّة، دراسة لوضع المرأة العاملة في المجتمع الجزائري، رسالة، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2006/2005، ص 148.

[2] حمداوي (محمد)، المرأة بين الأسرة و المجتمع ، الازدواجية و العنف المعنوي ، فعاليات الملتقى الوطني حول المرأة ، "نساء" وجهات نظر مختلفة و تعدّدية أفكار ، وزارة التضامن الوطني و العائلة الجزائر ، نوفمبر، 1998 ، صر 26 .

[3] - Lahouari Addi. . Les mutations de la société Algérienne, Famille et lieux sociale dans l'Algérie contemporaine. Ed La Découverte. Paris, 1999, P42.

والعائلة الجزائرية هي عائلة موسعة تشمل على عدة أسر زواجيه (نواتية) في بيت واحد (الدار الكبيرة عند الحضر والخيمة عند البدو) يتراوح عددها ما بين 20 إلى 60 فرد أو أكثر يعيشون جماعيا، ويعود النسب الأصلي في العائلة الجزائرية إلى الذكور باعتبار أنها عائلة أكنانية" الانتماء، بينما يظل انتماء المرأة إلى أبيها لكي يتم الحفاظ على الميرات في خط أبوي من جيل لجيل، تتصف العائلة الجزائرية باللانقسامية، فالجد أو الأب هو القائد الروحي للجماعة العائلية وهو الذي يقوم بتسيير التراث الجماعي وله مكانة خاصة تسمح له بالحفاظ على وحدتها.

ومن خصائص العائلة الجزائرية أيضا: المساواة بين الإخوة وإقصاء الأخوات، التناسق والتعاون بين الإخوة حتى بعد زواجهم، بالإضافة إلى التقسيم الجنسي للأماكن والأدوار[1].

أيضا تجمع العائلة الجزائرية الأقارب، وتضم عدة أجيال تحت سلطة واحدة في تجمع حميمي هذه العائلة لم تكن مأوى جماعي فقط ولكنها أيضا نشاط اقتصادي جماعي، فكل الأفراد وبالضبط الرجال يتكلفون بخدمة الأرض، الحرفة أو التجارة. أما توزيع الوظائف والأدوار فهي من صلاحيات الألب، وهذا التوزيع يكون عادة تبعا لعدد الأفراد وحجم النشاطات، كما لم يكن هناك تقسيم اجتماعي للعمل كما هو معروف حاليا داخل النشاط الزراعي والفلاحي ، فالجميع يشترك ويتعاون في أداء النشاطات التي عادة ما تكون موزعة على أوقات محددة طوال العام كموسم الحرث، الحصاد...إلخ، وكانت المحاصيل التي تنتجها العائلة متباينة حسب المنطقة والجو السائد فيها وأهمها الحبوب، الأشجار المثمرة كالزيتون التي اشتهرت بها منطقة القبائل، والتمور في الجنوب، بالإضافة إلى تربية المواشي بالمناطق السهبية والهضاب العليا، كما تعرف العائلة الجزائرية بالحيطة والحذر من الأزمات الاقتصادية التي قد تتعرض لها لذا تلجأ إلى الادخار بطرق وأساليب عديدة حسب المناطق وهو ما يسمى "المطمورة" "المخزن" "القلة"، أما الفائض فيتحول إلى السوق الداخلي أو الخارجي. يعرف أيضا على العائلة الجزائرية وخاصة التي تمارس النشاط الفلاحي أنها تشجع كثيرا على الإنجاب وزيادة عدد أفرادها الذكور، لأنهم مصدر العون في النشاط الفلاحي، كما أن ذلك يزيد من قوة العائلة و هيبتها، فالعائلة النموذجية هي العائلة الكثيرة الرجال، التضامن داخل هذه الأسرة يستمد من طريقة انتقال الإرث ومن تمركز سلطة القرار والمسؤولية العائلية فالإرث الذي يشمل الأموال والممتلكات والبيوت والأثاث ينتقل بطريقة غير مجزأة وجماعية لأفراد الجماعة العائلية، ولا يقسم إلا في حالات الضرورة القصوى والخاصة[2].

من بين الأوقات الصعبة التي عانت منها الأسرة الجزائرية أيضا نجد الحرب التحريرية، فإزاء الواقع الجديد الذي فرضته هذه الثورة على الجميع في مواقفهم وسلوكاتهم وتعاملهم مع الأحداث كان على المرأة الجزائرية أن تضطلع بواجبها بالعمل الثوري إلى جانب الرجل وأن تتحمل كأم وأخت وزوجة القسط الكبير من المشاق والتضحيات وخاصة تماسك الأسرة وتأمين معاشها وتربية أولادها وخدمة فلاحتها في غياب الزوج والإبن والأخ"، بل أكثر من ذلك وانطلاقا من إيمانها الراسخ والفعال أدركت مسؤولياتها تجاه الدين والوطن فقامت لمساندة الرجل بقوة في ميدان

[1] Claudine. Chaulet ".Distribution étatique et concentration familiale ,"sociologie O.P.U. Alger, 1986. PP208-209

[2] مصطفى بوتفنوشت، مرجع سابق، ص ص 50.48.

الشرف لتعزز صفوف المجاهدين كممرضة، مسيلة ومقاتلة....[1] ، إذن فالثورة التحريرية التي تدعو إلى التلاحم والوحدة بين أفراد الشعب نجدها على مستوى الأسرة أدت إلى ظهور بعض القيم المتمثلة في خروج المرأة للعمل لإعانة أسرتها وتلبية مطالبها الاقتصادية، هذا الدور الذي قامت به حسب القيم السائدة في ذلك الوقت هو من واجبات الرجل فهو المسؤول على إعالة أسرته والإنفاق عليها، أما دور المرأة هو داخل البيت لتربية الأولاد فخروجها للعمل هو مساس بشرفه وكرامته وإنقاص من رجولته.

فالارتباط بالثورة خلف أثرا عميقا على الأسرة سواء في بنيتها أو في وظائفها ونمط العلاقات السائد فيها، وهكذا شيئا فشيئا تغيرت نظرة الرجل نحو المرأة، كما تغيرت العلاقة القائمة بين الآباء والأبناء وهو تغير نسبي لا شك في ذلك، لكنه أحدث فعلا نقطة تحول في العلاقات داخل الأسرة فالبيئة الأحادية المنسجمة للأسرة الجزائرية كسرت بفعل حرب التحرير كما أن النسق القيمي السائد في الأسرة بدأ يفقد مصداقيته وأصبح كل فرد يبحث لنفسه عن نسق قيم خاص به[2].

وبعد الاستقلال عرفت الأسرة الجزائرية تحولات كبيرة سواء على مستوى البنية الاجتماعية أو الاقتصادية، ولفهم أكثر هذه الوضعية علينا أولا معرفة الظروف المصاحبة

لهذه التحولات والتي امتاز بها المجتمع الجزائري آنذاك، بعد الاستقلال ورثت الجزائر تركة مادية ومعنوية مثقلة بالمشاكل وعرفة المجتمع الجزائري تحولا كبيرا في علاقاته وبناءاته الاجتماعية عما كان عليه من قبل، فهو لم يعد نفسه حسب تركيبته وشكله الجماعي الداخلي وأصبح يحمل في طياته جملة من الثنائيات، فالتقهقر والتقدم الاجتماعي، الخصوصية والعالمية، التقاليد والحداثة.... أصبحت من الميزات والخصائص التي تطرح بقوة سواء على مستوى الفرد أو على مستوى الجماعة.

فالتحولات السوسيولوجية بعد الاستقلال وعلى مدار عدة سنوات ظلت الثقافة الأبوية قائمة في أهم أسسها المتمثلة في الشرف والحرمة والقيمة المعطاة للمجال الأسري ولكن في نفس الوقت الثقافة الأبوية لم تعد تمارس أدوارها كما في السابق ولا حتى بنفس الدرجة بل أخذت أشكالا خفية وغير مباشرة في تسيير العلاقات، إذن فالمصير الاجتماعي في طرح بعض المعطيات والحقائق أصبح واقعا معاشا لا مفر منه، فالبنية الاجتماعية المتحدة انحلت وتفككت في العمق ولم تكن هناك إرادة قوية حقيقية لإعادة تأسيس هذا الاتحاد الاجتماعي المشترك، كما أن التقدم الاجتماعي في مجمله وحرب التحرير جعلا المجتمع يتحدد ويعرفه بطريقة جديدة ساهم فيها وجود جذب محسوس جدا نحو التقدم مربوط بدقة نحو الإرادة الجماعية للتحرز الاجتماعي، والتقدم الاقتصادي مطبق على أسس جديدة مقارنة بمجتمع الأجيال الماضية[3].

---

[1] عبد الحميد خالدي، "وقفات في جهاد المرأة الجزائرية " مجلة المجلس الاسلامي الأعلى، العدد "3"، الجزائر، 2000ء، ص 537.

[2] Frantz Fanon. Sociologie d'une révolution. L'an V de la révolution Algérienne. Ed Maspero. Paris. 1975. P 86.

[3] محمد بومخلوف، التوطين الصناعي وقضايا التنمية في الجزائر، ط 1، الجزائر، 2001، ص 72.

إن الأسرة الجزائرية على العموم تعرف عدة أشكال وعدة أنواع إلى درجة أصبح من الصعوبة بما كان أن يجد علماء الاجتماع اسما لها، فالبعض يتحدث عن الأسرة الموسعة، المركبة، والبعض الأخر عن نمط أسري مختلف يتضمن عدة أشكال، وأنماط عائلية مصنفة كما يلي:

– الأسرة الأبوية الجديدة الممتدة وتضم الزوجين والأبناء غير المتزوجين، الأبناء المتزوجين وأطفال صغار.

– الأسرة الأبوية الجديدة المقلصة: وتضم الزوجين وأبناء غير متزوجين.

– الأسرة الزواجية: وتضم الزوجين وأطفالهما.

– الأسرة الزواجية المقلصة: أطفال يعيشون مع أحد الأبوين مطلق أو أرمل.

– الأسرة شبه الزواجية: تضم الزوجين، الأبناء ويسكنون لدى أهل الزوجة بسبب الأزمة السكنية.

إن صعوبة تحديد نمط الأسرة الجزائرية لم يكن على مستوى الباحثين السوسيولوجيين فقط، وإنما عرفت هذه الإشكالية عند الهيئات والمراكز الحكومية وغير الحكومية المختصة بجمع الإحصائيات، فالديوان الوطني للإحصاء –على سبيل المثال – لم يستطع تقديم تعريف محدد للأسرة في الجزائر، واكتفى بتحديدها في أربعة أصناف بصرف النظر عن كونها ممتدة أو نووية هي كما يلي:

– الصنف الأول: أسرة تتكون من زوج وزوجة وأطفال.

– الصنف الثاني: أسرة متكونة من زوج وزوجة بدون أطفال.

– الصنف الثالث: أسرة أحادية الوالدين متكونة من الأب أو أم فقط.

– الصنف الرابع أسر أخرى[1].

- **التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة الجزائرية:**

تتمثل عملية التنشئة الاجتماعية في النشاطات والعمليات الخاصة بتعلم السلوك والقيم والمعايير والعادات والتقاليد والمهارات، والأسرة هي أهم جماعة أولية تتولى تنشئة الفرد وخاصة في مراحل حياته الأولى، فهي التي تعلمه كيف يتكلم ويفكر ويتصرف ويكتسب الصفات التي تجعله إنسانا اجتماعيا من خلال تشرب ثقافة المجتمع، وإذا كان الكل يتفق على عالمية وظيفة التنشئة الاجتماعية للأسرة، فإن ذلك لا ينفي وجود خصوصيات من مجتمع لأخر، وحتى داخل المجتمع الواحد نجد أن هذه التنشئة تتغير من فترة لأخرى من حيث مواضيعها، طرقها، أهدافها .....، الأسرة الجزائرية بدورها كانت لها تنشئتها الاجتماعية الخاصة بها في طرقها وأهدافها وأنواعها والمراحل التي مرت بها. ففي العائلة الممتدة كان الطفل يربى على عدم التمييز بين أفراد العائلة البالغين الذين يمارسون عليه عملية التنشئة الاجتماعية، فليس من التربية الحسنة مثلا أن يميز بين أمه وزوجات أعمامه، فيطلب منها شيئا لا منهن، أو أن ينفذ طلبها دون طلبهن، كما أن علاقاته بأعمامه تكون دون تمييز، يمتثل لأوامرهم ويخضع لتربيتهم كما لو كان شخصا واحدا يطابق صورة أبيه، هنا تختفي علاقة الطفل العاطفية بالأم والأب لتترك مكانها لصالح علاقة أوسع مع كل أفراد العائلة، وينصهر الفرد في الجماعة العائلية بحيث لا يعرف إلا بها، فالمجتمع لا يرد الطفل إلى أبيه أو أمه بل

[1] Fatima Oussedik "Femmes et Fécondité en milieux urbain". CREAD-FINU.A.P. Alger, 1989. p 101.

بنسبه إلى العائلة ككل، لذلك فوحدة التنشئة غايتها التأكيد على وحدة الأسرة التي بحكم محدودية مصدرها الحيوي لا تضمن بقاءها إلا بانتهاج نمط معين من الإنتاج والاستهلاك والتنشئة الاجتماعية [1]، ورغم انتشار الأمية فان الطفل يربى في جو من الحب والحنان وتحقيق الإشباع العاطفي، كما تقوم في نفس الوقت تلقينه القيم التي ينبني عليها المجتمع وتعزيز قيم الشرف والتضامن، بل أكثر من هذا التنشئة الاجتماعية في العائلة الجزائرية تمكن الفرد من امتلاك شخصية تسمح له بالتفكير والتصرف وفقا لما يمليه عليه النظام الاجتماعي، فالأدوار محددة سلفا ولا تترك مجالا لصدور أي سلوك نابع من رغباته ونزواته الفردية، لأن العلاقات هنا هي علاقات بين أعضاء وأدوار فرضها تقسيم العمل، ولهذه الأدوار والوظائف المتنوعة تسميات هي: الأب، الأم، الأخ، الأخت، الصغار، الكبار، الذكور، الإناث، تتنوع هذه الأدوار يقتضي التفريق في تلقين أهمية القيمة الواحدة لكل من الذكر والأنثى في نفس الأسرة فمنذ الصغر يوجه كل منهما نحو دوره الاجتماعي المستقبلي، وتستعمل كل الأساليب لتأكيد ذلك حتى من خلال اللعب، فدور الذكر(السلطة) يستلزم تنشئته على قيم القوة. الشرف، الرجولة، حسن التدبير...، أما الأنثى منذ الصغر تهيئ لمصير ودور واحد وهو الزواج والذهاب إلى بيت الزوجية"، ولهذا يتم تنشئتها على جملة من النشاطات والقيم والتي تتمثل في قيمة المرأة في بيت الزوجية تتوقف على الإنجاب أيضا فالمرأة التي لا تتجلب (عقيم) هي منبوذة و تربية الأولاد و طاعة الزوج والاشتراك في خدمة جميع أهل الزوج:[2]

يعتبر موضوع دراسة تطور الأسرة ومن المواضيع البالغة الأهمية وخاصة في الوقت الراهن، ذلك لأنها الإطار المرجعي الأول الذي يعطي جميع الأدوار الاجتماعية والثقافية ... والتي يتوقف عليها تحديد التنشئة الاجتماعية للمجتمع.

[1] محمد حمداوي، "إشكالية دراسة الوظيفة التنشئوية في الأسرة الجزائرية الراهنة " – الدفتر الجزائرية لعلم الاجتماع. العدد "1" كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2000. ص 64.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم ناصر معلم الاجتماع التربوي، دار الجيل، لبنان، دون سنة نشر.
2. إحسان محمد الحسن، العائلة القراية والزواج، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، ط2، 1985.
3. احمد زكي بدوي، معجم المصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1983.
4. بوتنفوشت مصطفى، العائلة الجزائرية ، التطور والخصائص، ترجمة احمد دمري، د،م،ج، الجزائر، 1984.
5. حسين عبد الحميد رشوان، الاسرة والمجتمع، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2003.
6. حمداوي (محمد)، المرأة بين الأسرة و المجتمع ، الازدواجية و العنف المعنوي ، فعاليات الملتقى الوطني حول المرأة ، "نساء" وجهات نظر مختلفة و تعدّدية أفكار ، وزارة التضامن الوطني و العائلة الجزائر ، نوفمبر، 1998 .
7. دينكن ميشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد الحسن، الطبعة الثانية، دار الطليعة ، بيروت.
8. سعيدي محمد، رمزية الفضاء بين المقدس الدنيوي فى الثقافة الشفوية، "مجلة إنسانيات" عدد 2 ، 1997.
9. ضامر وليد عبد الرحمن ، فكرة تنمية المرأة في المجتمعات العربيّة، دراسة لوضع المرأة العاملة في المجتمع الجزائري، رسالة، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2006/2005.
10. طابي محمد ، الجزائر عشية احتلالها، وهران، وحدة البحث في الانثربولوجية الاجتماعية والثقافية، 1992.
11. عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996.
12. عبد الحليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، مركز الدراسات الوحدة العربية، لبنان، 1986.
13. عبد الحميد خالدي، "وقفات في جهاد المرأة الجزائرية " مجلة المجلس الاسلامي الأعلى، العدد "3"، الجزائر، 2000.
14. عبد الحميد سيد أحمد منصور. أسرة كأداة للضبط الاجتماعي، فى المجتمع العربى- المركز العربى للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1987.
15. فهمي سليم الغزوي وآخرون، المدخل إلى علم الاجتماع، دار الشروق، مصر، 1992.
16. محمد بومخلوف. " نمط الأسرة الجزائرية ومحدداته " . سلسلة الوصل ، التغيرات الأسرية والتغيرات الاجتماعية، العدد "2" الجزء"1"، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر 2005-2006.
17. محمد بومخلوف، التوطين الصناعي وقضايا التنمية في الجزائر، ط 1، الجزائر، 2001.
18. محمد حمداوي، "إشكالية دراسة الوظيفة التنشئوية في الأسرة الجزائرية الراهنة " – الدفتر الجزائرية لعلم الاجتماع. العدد "1" كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر.
19. محمود حسن، الأسرة ومشكلاتها، دار النهضة العربية، بيروت، 1967.
20. منير مرسي السرحاني في اجتماعيات التربية، دار النهضة العربية، ط3، لبنان، 1981.
21. Claudine. Chaulet ".Distribution étatique et concentration familiale ," sociologie O.P.U. Alger, 1986.

22. Fatima Oussedik "Femmes et Fécondité en milieux urbain". CREAD-FINU.A.P. Alger, 1989.
23. Frantz Fanon. Sociologie d'une révolution. L'an V de la révolution Algérienne, Ed Maspero. Paris. 1975.
24. La Course Marie Thérèse, Familles Et Sicieté Edition Imc; Canada; 1984, P 23.
25. Lahouari Addi. . Les mutations de la société Algérienne, Famille et lieux sociale dans l'Algérie contemporaine. Ed La Découverte. Paris.